وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين

للأستاذ محمود شلبى

المولد الكريم نقطة انطلاق النور ، وبداية لاكبر بعث ايمانى فى التـــاريخ ..

ومضت السنون الاربعون .. وبعث الله رسوله الى الناس ..

فكانت بعثته صلى الله عليه وسلم أعظم هدية قدمها الله تعالى الى عباده . وأكبر منه امتنها على العرب خاصة وعلى الناس كافة ..

لم يبعثه ملكا جبارا ، يحكم الناس بالعصا والجبروت ..

ولم يبعثه برسالة محدودة موقوتة ، تنقضى بانقضاء رسولها . وتنتهى بانتهاء أمتها ..

ولم يبعثه امتدادا لرسالة غيره ، يأخذ شريعته ممن سبقه . ثم يزيـد عليها أو ينقص ..

وانما بعثه رحمة !! ..

رحمة شاملة كاملة منطلقة الى أبعد حدود الانطلاق ، لا تعرف الآماد ولا الزمان ولا المـــكان ..

ذلك أنه « رحمة » الله التى قال سبحانه فيها (**ورحمتى وســـعت كل شىء**) ..

فكما أن رحمة الله وسعت كل شىء كان ويكون ، فان محمدا صلى الله عليه وسلم شخصية وسعت كل شىء .

وكما ان رحمة الله أوسع مما يخطر على قلوب البشر ، فان رسول الله أوسع قلبا مما يخطر على قلوب أتباعه وغير أتباعه ..

ولا أحد يعرف قدر النبى صلى الله عليه وســـلم غير الله تعالى (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) هو سبحانه وحده الذى يعرف من هو محمد صـــلى

الله عليه وسلم ، وما هى حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما هو مقام محمد صلى الله عليه وسلم ..

أما الخلق ، فلا يعلمون عن عظمة رسول الله الا ما يدفعهم اليه حبه صلى الله عليه وسلم ، أو كرهه ان كانوا به يكفرون ..

فلم يكن بدعا ولا عجبا أن يثنى الله سبحانه على رسوله فيقول (**ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما**) ذلك أن الله وحده هو الذى يقدر محمد صلى الله عليه وسلم حق قدره .

لذلك يطلب سبحانه من الذين آمنوا به أن يصلوا دائما ويسلموا عليه دائمـــا ..

بعثه سبحانه رحمة ..

وفى تنكر كلمة « رحمة » ما يشير الى عظم هـــذه الرحمة واتســـاعها وشمولها ..

ولقد كان قلبه صلى الله عليه وسلم كذلك حقا وصدقا ..

كان يسع السماء ويسع الارض ، بل ويسع تجليات الله رب السماء ورب الأرض ..

وينزل الى ذلك القلب جبريل عليه السلام فيأخذ عنه ويؤدى الى الناس ما أوحى اليه . وجبريل هذا لا تسعه الارض بما حوت كما نطقت بذلك الاخبار الصحاح ..

ويعرج به صلى الله عليه وسلم الى السماوات العلى ، ويتقهقر جبريل عليه السلام ، عند مقام صريف الاقلام ، ويتقدم محمد صلى الله عليه وسلم حيث (**فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى**) ..

فكيف باتساع قلب يسع ذلك المقام ، ويتلقى عن الرحمن بلا حجاب أو رسول ؟

لقد كان صلى الله عليه وسلم رحمة من مولده الى وفاته ..

كان مولده رحمة ، لانه جاء فارقا بين الحق والباطل ، فكان بشـــيرا للمؤمنين ، ونذيرا للكافرين ..

وكانت رسالته رحمة لأنها جاءت بما فيه رحمة للناس جميعا ..

فمما يرحم اليتامى أن تحسن اليهم ، فأمرت رسالته بالاحســـان الى اليتـــامى ..

ومما يرحم الفقراء أن يعينهم الاغنياء ، فأمرت شريعته بعون الاغنيـــاء للفقـــراء ..

ومما يرحم الاقوياء أن يتبصروا بالخطأ قبل أن يقعوا فيه ، وبذلك أمرت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ..

ومما يرحم المرأة أن تحفظ من الابتذال والشيوع ، فجاءت رسالته بالحجاب وعدم الابتذال ..

ومما يرحم الحيوان أن يعطى حقه ، فجاء الاسلام يأمر بذلك ..

ومما يرحم الصديق أن يواده صديقه ، فجاء الرسول صلى الله عليه وسلم يأمر بالمودة والتزاور فى الله ..

ومما يرحم الامم أن يصلح بينها اذا اقتتلت ، فكان مما أمر به القرآن الاصلاح بين الطائفتين اذا اقتتلا ..

ومما يرحم المحكوم أن يعدل فيه الحاكم ، فجاء الاسلام يأمر بالعدل المطلق ، ويضع لذلك الموازين ..

ومما يرحم الناس أن يعبدوا ربا واحدا ويتجهوا الى إله واحد ، فكان ذلك أول ما أسس عليه الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ..

ومما يرحم الناس أن يتراحموا ولا يبغى بعضهم على بعض فكان مما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم « **الراحمون يرحمهم الرحمن** » ..

ومما يرحم الناس أن لا يعتدى بعضهم على بعض فكان مما جاء به نبى الرحمة « **ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين** » ..

ومما .. ومما ..

انه شىء لو ذهبنا نفصله لضاق بنا المقام ، وما استطعنا له احصاء ..

ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم رحمة فيها شمول الحق ، ونور العدل وقوة الصدق ، وصفاء الطهر ..

ولم يجعلها الله خاصة بشىء دون شىء ، وانما جعلها لكل شىء « للعالمين » رحمة للناس كما أسلفنا

ورحمة للحيوان لأنه أمر بالرفق به ..

ورحمة للجماد لانه نهى عن افساده ..

فهو نبى الرحمة ، جاء برسالة الرحمة ، **(لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** » ..

صلى الله عليه وسلم ..

محمود شلبى